"تشظيات الذات الأنثوية في ظل الآخر الذكوري رواية" ثللي"لسومية بن سعدي أنموذجا

Fragments of the Female Self in the Shadow of the Male Other: The novel 'Thulli' by Soumia Ben Saadi as an example

أمال جويدر *
المركز الجامعي عبد الحفيظ
بوالصوف ميلة
مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي
جامعة 20 أوت 1955- سكيكدة،
a.djouider@centre-univ-mila.dz

موسى كراد
المركز الجامعي عبد الحفيظ
بوالصوف ميلة
kerradmoussa@gmail.com

تاريخ الإرسال: 28-05-2025 تاريخ القبول: 11-05-2026

ملخص:

تنبني هذه الدراسة الموسومة بـ "تشظيات الذات الأنثوية في ظل الآخر الذكوري" على ولوج عالم المرأة، ومحاولة معرفة دواخلها ومكنوناتها وكذا عالم معاناتها بكل تمثلاته وصوره، وذلك انطلاقا من خطاباتها الأنثوية وقداخترنا له الرواية النسوية الجزائرية الموسومة برواية " ثللي" للروائية الجزائرية " سومية بن سعدي " أنموذجا للدراسة، حيث نحاول تقصي مدى إبرازها لتشظيات الذات الأنثوية في ظل الآخر الذكوري/الآخر البطريقي، حيث نجدها تعرض قضايا معينة عبر منجزها السردي الذي يشخص وضع الأنثى داخل المجتمع الذكوري.

الكلمات المفتاحية: ذات أنثوية؛ الآخر الذكوري؛ بطريقية أبوية؛ تشظي؛ دونية.

Abstract:

This study, entitled "Fragments of the Female Self in the Shadow of the Male Other," focuses on women's entry into the world and attempts to understand their innermost thoughts and feelings, as well as the world of their suffering in all its manifestations and forms, based on their female discourse. We have chosen the Algerian feminist novel entitled Thulli by Algerian novelist Soumia Ben Saadi as a model for the study, where we try to investigate the extent to which it highlights the fragmentation of the female self in the shadow of the male other/patriarchal other, where we find it addressing certain issues through its narrative work that characterizes the position of women in a male-dominated society.

Keywords: Female self; Male other; Patriarchal authority; Fragmentation; Inferiority .

* **ـ المؤلف المُراسل.**

مقدمة:

حينما نود الحديث عن عالم الأنثى وتاريخها يستوقفنا هذا الأخير الذي هو حافل بمختلف أنواع وأشكال الاضطهاد وكذا التهميش، فلقد قيدها التاريخ وكبّلها بقيود القهر والإذلال، ولهذا فإن السؤال في الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة هو الهاجس الأول الذي يصادفنا؛ حيث تكثر الخطابات الروائية النسوية الجزائرية المعاصرة المناهضة لكل ما تعانيه المرأة من قهر واستعباد، وتسعى كل ساردة تهتم بهذا المنحى السردي عبر النماذج الأنثوية المختارة إلى تقديم عالم المرأة المأساوي بكل تلك التجارب التي تعايشها المرأة على الصعيد الاجتماعي وكيف تعيش في المجتمع البطريقي الذي يقدس الذكورة والآخر الذكوري؟ وكيف سعت الساردة الجزائرية المعاصرة والآخر الذكوري؟ وكيف أن الساردة الجزائرية المعاصرة "سومية بن سعدي "قد سعت عبر خطاباتها أو بمعنى أدق عبر روايتها الموسومة بـ" ثللي" على التحرر ورفض استغلال الآخر الذكوري للمرأة؟ والرفض والتمرد على الآخر الذكوري؟ وكيف تحاول تغيير وضع المرأة داخل البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري بخاصة والعربي بعامة؟

1.تشظي الذات الأنثوية:

عندما نود الحديث عن الذات الأنثوية والقلق الوجودي في رواية " ثللي" للروائية الجزائرية " سومية بن سعدي" نجدها تتحدث عن الذات الأنثوية بمحاذاة الآخر الذكوري؛ الذات الأنثوية/ الآخر الأب الذي يمثل السلطة البطريقية، فالرواية محملة بالمدلولات السلبية التي تورث المرأة تلك النظرة الدونية المصاحبة لها عبر التاريخ، حيث نستشف معاناة المرأة، عبر صورتها الروائية بكل تفاصيلها وجزئياتها السلبية، كما أننا وجدنا الروائية تتحدث عن الظروف الصعبة التي تواجه المرأة في المجتمع والتي تلازمها منذ الصغر؛ فأبرزت معاناتها وسوء معاملتها، كما تحدثت عن نظرة الاحتقار الموجهة لشخصها، حيث تقول الساردة: "سومية بن سعدي":" في مجتمعي المرأة التي تنجب بنات فقط هي مسكينة ومهددة بالطلاق يقولون عليها جملة لها حسن في البيان، وألف وجع يتزعزع له كيان الرحمان".[1]

[1]سومية بن سعدي، (2019)، رواية ثللي، دار المثقف، ط1، ص 20.

حيث نجد قضية إنجاب البنات في المجتمعات العربية ماهي إلا انعكاس للتفكير الاجتماعي المتوارث عن القبلية الجاهلية البائدة حيث أصبحت مشكلة عامة تعاني منها النساء في المجتمع الجزائري.

لذلك وجدنا الذات الأنثوية الجزائرية تميل إلى التقوقع داخل هذا النسق البطريقي الاستبدادي الذي يعمل على محو كيانها وإلغاء وجودها وإلزامها بما تراه العائلة مناسبا لها؛ فقد اعتبرت دائما بأنها الكائن الضعيف الذي ليس له القدرة على التفكير.

كما نجد من أشكال التمييز الجنسي ما جاء في قول الساردة: في الرواية السالفة الذكر: " يا منجبة البنات، يا منجبة الهم للمات"[1].

كما عبرت أيضا بأنها هي التي سلبت منها أبسط حقوقها، حرمها منها الذي نادته " أبي " هي التي حرمت حنان الأب لا لشيء إلا لأنها أنثى.

نجد أن هذه المقاطع تكشف عن أيديولوجية الذكورة التي تهمش الأنثوية وتلغيها من موقع سلطتها الذكورية المطلقة، بدءا من مرحلة الولادة حيث تستقبلها بالرفض ونظرات الاحتقار.

وبذلك نجد أن الذات الأنثوية تتحمل ضغوطات الرفض والدونية على خلاف الآخر/ الرجل، الذي يستقبل بالقبول والرفعة، حيث يكون مولده حدثا مهما في الأسرة الجزائرية وبذلك كان "مظهر تفضيل الذكور من القيم التي سادت معظم المجتمعات العربية وخاصة المجتمع الجزائري، فمن عهود سابقة ميلاد الذكر كان مفضلا وممجدا، ولادته تثير الفرح والبهجة في الأسرة على عكس الأنثى تثير الهم والغم"[2].

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن المجتمع الجزائري يتحيز للجنس الآخر أي الذكر الذي يمثل السلطة والذي يحفظ نسل العائلة.

---

[1] سومية بن سعدي، المصدر السابق، ص 20.

[2] مليكة الحاج يوسف، (2013)، ملامح العنف ضد المرأة في المجتمع الجزائري التقليدي، مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، ع8، ص 17.

أي أن البطريقية الذكورية للأب " البطريقية الأبوية" التي تمثل المركز حيث يقوم دورها السلطوي على المنع والتحريم وبذلك تكون الذات الأنثوية في مركز الدونية حيث يرفض الأب إعطاء الحرية للفتاة التي هي دائما في الهامش كون الأنثى تجلب الفتنة . تقول الساردة: " أبي حجب عني النور، وقطع مساري إليهن كل عام أكب فيه لم يكن يرى أنني تلميذة مجتهدة، وسيكون لي مستقبل زاهر، وإنما يلاحظ فقط تغيرات جسدي....قراره كان صارماً ولم يعد فيه متحججاً، أنه يخاف عليّ من الوحوش الآدمية حينما أتنقل إلى المتوسطة"[1].

تم تواصل الساردة في مقطع سردي آخر تعبر فيه أنه لا تزال المرأة تعاني وتتألم وذلك كونها محرومةومهمشة حيث تقول:" هذا حالي، عشت أنا ثللي مع أبي الدكتاتوري الذي تسلط علي كوني ناقصة عقل واستعمل معي سياسة الحرمان، والتهميش والاستعباد لأنه اكتسب من ثقافة الكره والحقد للأنثى ما يكفي ليحطمني ويجعل مستقبلي رماداً" [2].

حيث لحقت الذات الأنثوية عدة عذابات جراء تلك الفروقات التي صاغها الآخر/ المجتمع والتي تنطوي على رفض مبدأ المساواة بين الجنسين، كما نادت أيضا بتسليط النزعة الذكورية التي كانت تقوم بتحديد الأدوار الاجتماعية للذكر والأنثى.

2. الميول الأبوية للذكورة:

حيث تكون إرادة الأب إرادة مطلقة فيبقى الابن خاضعا لأبيه في مختلف الجوانب المادية الاجتماعية وبذلك يلعب الذكر دورا هاما في استمرارية القيم الأبوية: حيث تقول الساردة: " الذكر بالنسبة لأبي هو البطل المغوار الذي تنتظره كل أسرة لتتباهى به، لماذا ألوم أبي عن عقليته هذه؟ لقد ورثها من مجتمعه نعم وللأسف مجتمعنا يقدس الرجل "[3].

من خلال هذا المقطع السردي ومن خلال ما ألفناه في المجتمعات العربية هذه الأخيرة التي تفضل الذات الذكورية على الذات الأنثوية؛ لأن الذات الذكورية هي بمثابة امتداد لشجرة العائلة، تحمل اسمها وتحمل مسؤوليتها، حيث نجد الأب يميل إلى أبنائها الذكور حيث تقول

[1] سومية بن سعدي، رواية تللي، ص 56.

[2] المصدر نفسه، ص 22.

[3] سومية بن سعدي، المصدر نفسه، ص 20.

الساردة في أحد المقاطع السردية " الرجل مهما فعل وعمل ومهما كانت أخلاقه حتى وإن كان وسخا ومنحطا لا يعاب، وله الحرية والتمتع بالحياة، فالرجل في مجتمعي غير مذنب حتى وإن أذنب"[1].

كما أن ولادة الذكر داخل الأسرة يعتبر حدثا مهما حيث يكون استقباله وكذا إعداد حفلات استقباله من أهم ما يحضر له الأبوان، فاستقباله يكون بحرارة، وخير ما نستدل به على هذا قول الساردة: " ففي مجتمعي الرجل إن رزق بذكر، قبّل جبين زوجته، ليس حبا لها، بل لذلك الشبل ابن الأسد"[2]

يبدو من خلال هذا المقطع السردي جو البهجة والفرح لولادة الصبي الذكر داخل الأسرة، إذ تقوم الأسرة بإعداد حفل من أجل ذلك، وتزيين الطفل واختيار اسم يشبه اسم جده، وكذا نحر الأضحية في اليوم السابع وغيرها من الأمور التي تفعلها الأسرة.

ثم تقول الساردة في مقطع سردي آخر:" ضوضاء كبيرة في منزلنا أبي داخل وخارج وابتسامة بارزة على وجهه، ذبح أحد كباشه التي كان يربيها، وجدي حرض عليها جدتي في المطبخ، تعد الكسكس بلحم الخروف والخضر، رائحته ملأت الجو، أراها تغني تارة وتارة أخرى ترقص وزغاريد النّسوة تعالت ساحة المنزل، إضاءتها تظهر من بعيد، كراسي كثيرة وطاولات فوقها صحون وأطباق الكسكس، رجال يدخلون للعشاء، ونساء داخل المنزل كانوا، النساء يدخلن إلى غرفة أمي ويقدمون لها النقود؛ البيض؛ والسكر وبعض قطع القماش كهدية"[3]

حاولت الساردة إبراز مدى اهتمام الأسرة الجزائرية عامة والأسرة القبائلية خاصة بالذكور، وكذا اهتمام الأب وافتخاره بابنه من جهة ومن جهة أخرى مدى تفضيل الأم لإنجاب الصبية لتحقيق حلم زوجها.

[1] المصدر نفسه، ص 21.

[2] المصدر نفسه، ص 12.

[3] المصدر السابق، ص 15.

3.الذات الأنثوية والسلطة الأبوية في رو اية " ثللي":

من خلال قراءتنا لرواية " ثللي" نجدها تُحيلنا إلى فكرة الذات الأنثوية بين جفاء أب واضطهاد امرأة حيث نجد أن العائلة الجزائرية تمثل الصورة المصغرة للسلطة الأبوية؛ لأن هذه الأخيرة هي جوهر العائلة الجزائرية وهذا ما يفسر لنا تلك العلاقات الهرمية بين أفراد العائلة الجزائرية حيث تظهر فيها سيطرة وسلطة الرجل / الأب/ الزوج/ الأخ على الذات الأنثوية / المرأة/ الأم/ الأخت/ الزوجة/الابنة.

فيكون لزاما عليها الخضوع للآخر الرجل لأنها الفئة الهشة والهامش كما أنه لا تختلف الأسرة الجزائرية عن الأسر العربية التي تتميز بالبنية التقليدية البطريقية/ الأبوية وهذا ما يتضح في قول " بياربورديو" (Pierrre Bourdieu) " الخلية الأساسية والنموذج الذي على صورته تنظم البنيات الاجتماعية، لا تقتصر على جماعة الأزواج وذرياتهم ولكنها تضم كل الأقارب التابعين للنسب الأبوي جامعة بذلك تحت رئاسة قائد واحد عدّة أجيال"[1]

فمن خلال هذا القول نجد أن العائلة هي النواة الأولى التي تبرز أشكال السلطة الأبوية التي يتولى فيها الأب أو الرجل السلطة أو القيادة داخل العائلة، وتكون بذلك الذات الأنثوية تابعة وخاضعة للآخر الرجل الأب، كما تتعدّد مراكز السلطة داخل العائلة الواحدة وهذا ما يثبت الذهنية الأبوية البطريقية الأبوية؛ التي يحتل الذكر فيها أعلى المراكز داخل المنظومة البطريقية (الموسومة بالعائلة)، والتي تحتاج إلى قائد يسير شؤونها ويوجه مسارها فيكون بذلك الأب / الرجل متربعا أعلى هرم هذه السلطة، ويمثل الشخصية البطريقية التي يكون فيها هو السيّد وصاحب السلطة العليا حيث يخضع له كافة الأفراد وهذا ما نستشفه في رواية " ثللي" للروائية الجزائرية " سومية بن سعدي" التي نجد أن الذات الساردة في هذه الرواية تدخل في صراع مع الآخر/ الرجل (الذكر) الذي احتكر موقع السيادة المطلق لنفسه فكانت له كل الامتيازات التي تمنحه حق أن يجعل المرأة تحت تصرفه وتسلطه وجبروته ذلك بأن يجعلها خادمة له وفق ما يريده هو، ووفق ما تمليه عليه أعرافه التي وضعها بنفسه، حيث تتحول العلاقات الأسرية إلى ملكية يملك الناس فيها بعضهم بعضا والأساس فيها يقوم على

[1]Pierre Bourdieu ,،(1974) , Dociologie de /'Algérien, Collque Sais 15 je, Paris P.U.E..P12.

سلطة الأب المطلقة، حيث تقول الساردة في أحد المقاطع السّردية: " تقول المرأة ليست بشر بل حيوان مكانها في البيت، لا دراسة ولا عمل، يكفيها أن ترث من أمها كيف تفتل الكسكس، وتصنع ملابس من الصوف، بالنسبة له المرأة التي يجب أن تلقب بامرأة حقيقية هي من شمّرت عن ذراعيها وتنجب الذكور وتربّي وتطبخ وتغسل، والرجل يلبي رغبته...يشبع بطنه ويرفع رأسه لأنه أب لرجل. المرأة الفحلة عنده هي التي لم تطلب حقها يوما ولا تعرف من العلم شيئا وأن تكون راعية بارعة"[1].

في هذا المقطع السردي يبرز وبصورة واضحة ذلك التصور الخاطئ لماهية المرأة، وهذا ما انبنت عليه الأخلاق التقليدية حيث سلبت المرأة كل حقوقها ومنافذ نعمة الإنسانية، وهو ما عبّرت عنه الساردة تعبيراً صريحاً في هذا المقطع قائلة إن المرأة ليست بشرا، بل حيوانا ،مكانها في البيت، وكأننا على حسب هذا التعبير نستشف تلك التشظيات وذلك العنف الذي تعانيه المرأة، فهي مجرد حيوان يلازم الإسطبل، و ليس لها أي حق في مغادرة بيتها، ليس لها حق في الدراسة ولا في العمل، بل كل ما هناك أنها تصنع الكسكس وتصنع الملابس، ولا تطلب حقوقها وكذا يجب أن تنجب الذكر لا غير، وفي مقابل ذلك الرجل يتمتع بكل حقوقه وبكل مغريات الحياة. والرجل يرفع رأسه كونه أب لرجل، فالأنثى حسب ما انطلقت منه الأخلاق التقليدية تتلقى الكره والوأد حتى من أقرب الناس إليها الآخر/ الأب والذي هو سبب وجودها.

وفي مقطع سردي آخر تقول الساردة " سومية بن سعدي": " حرمني من اللّعب...لم أكن مثل باقي الأطفال، اغتصب فرحتي وجعلني أحمل في قلبي حزنا كبيراً...حرمني من حق التعليم مثلما حرمني من العيش، كان يرى أن الدراسة هي التي تفسد الأخلاق والمرأة، مكانها البيت ويكفي أن تتعلم الطبخ والغسل والتنظيف..."[2].

فمن خلال هذا المقطع السردي نجد أن والد الفتاة هو من حدد مصيرها، حيث نجد أنه أوقفها عن الدراسة، وحرمها حقها في التعليم، وحطّم مستقبلها وكان يرى أنّ المرأة يكفي أن تتعلم الطبخ والغسل والتنظيف أي أن المرأة حسب ما ذهبت إليه الساردة لا مستقبل لها في هذا المجتمع الذكوري البطريقي، ونحن نعلم علم اليقين أن المدرسة مرحلة لها أهمية كبيرة

[1] سومية بن سعدي، رواية تللي، ص 18-19.

[2] سومية بن سعدي، رواية تللي، ص 47.

في حياة أي فرد من أفراد المجتمع ذكراً كان أم أنثى وأن العائلة فيها تتكون شخصية الفرد ويتعلم كيفية التعامل مع باقي أفراد المجتمع المحيطين به، كنقطة انطلاق أساسية في حياة أي إنسان، وقد كان يسمح للذكر بالتعليم أما الأنثى فتمنع من ذلك ويتم إبقاؤها في المنزل، وكان الرفض ما قوبلت به المرأة في جميع مناحي الحياة سواء من قبل العائلة أو من غير العائلة فتم رفض تعليمها، وكذا تم رفض ذاتها الأنثوية، فكان هذا الرفض بمثابة مسار دائري متكرر وملازم لها مهما اختلف موقع المرأة؛ سواء أكانت ابنة أم أما أم أختا أم جدة فمسار حياتها كأنه دائرة مغلقة.

ثم إنّ الدارس للكتابات القديمة سواء أكانت أسطورية أم فلسفية وحتى الدينية والأدبية يجد أن المرأة لطالما شغلت حيّزا ممتدا أو معقدًا في الثقافات البشرية جمعاء، ومنذ النشأة الأولى؛ ويبرز ذلك في تحميلها عبء خروج آدم (الرجل)من الجنة في بداية الخلق، وهذا ما ذهب إليه الناقد" حسين مناصرة": " من يتبع الكتابات الأسطورية والفلسفية والدينية والأدبية نجد أن المرأة تشغل حيزاً ممتداً ومعقدا في الثقافات البشرية عموما، ابتداء من تحميلها عبء خروج الرجل من الجنة في بداية الخلق على سبيل الأسطورة التوراتية التي تحمل المرأة حواء السبب المباشر للخروج بسبب الغواية والتبعية للشيطان والأفعى"[1].

ولقد كانت المرأة تعاني كثيراً كون الآخر الرجل يجعل منها نذير شؤم وسببا في كل المصائب التي تحدث داخل بيته، فتتم معاقبتها على أي مكروه يطال ذلك المنزل خاصة مع الآخر/ الزوج كما نجده في هذا المقطع السردي من رواية " ثللي" حيث عبرت الساردة عن عدم نسيانها لتلك الحادثة التي توفيت فيها إحدى بقرات والدها ، فباتت أمها أسبوعاً كاملا داخل الإسطبل مع البقرة المنبعثة منها رائحة الجيفة، لولا تدخل خالها لتعفنت أمها معها، حيث أبرزت الساردة قمة التشظي والمعاناة التي تعانيها المرأة من الآخر الذكر /الآخر الزوج.

كما كشفت الساردة في مقطع سردي آخر عن معاناة أمها في ظل رابطة الزواج القامع القاسي، ومدى قساوة الزوج العنيف الذي يتفنن ويبدع في أساليب قهرها وتحطيم جسدها، حيث تقول الساردة: " لم أنس جسدك الهزيل، كيف يصير بين أيدي أبي ملامح الشيخوخة

[1] حسين مناصرة، (2008)، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب، إربد، الأردن، ص 14.

قد ظهرت عليك مبكرا بسبب الهم والغبن الذي عشته مع أبي، لم أنس كيف كان يضربك بدون رحمة أو شفقة، كنت أصرخ وأحاول أن أنجيك منه لكن بدون جدوى حينما ينتهي من أمي يعود إلي، فأصير بين يديه وعصاه ضعيفة متقبلة كل الضرب والشتم ببكاء يسمع من بعيد"[1].

هنا قمة القسوة والعنف من طرف الزوج الذي وصل به الأمر إلى تحطيم حصون زوجته، حتى تغيرت ملامح زوجته من الشباب إلى الشيخوخة التي ظهرت مبكراً، بسبب الحزن والألم والقهر الذي عاشته مع زوجها القاسي، وكذا كيف كان هذا الزوج يضربها بكل قساوة وبدون رحمة منه، ثم توضح الساردة في ذات المقطع السردي كيف كانت ابنة هذه الزوجة أو هذه الذات الأنثوية المقهورة تعاني ظلم والدها وقسوته الشديدة حينما كانت تصرخ وتحاول الدفاع عن والدتها أمام جبروته وضربه لوالدتها فيكون مصيرها الحتمي أن تتعرض هي الأخرى للضرب بالعصا وبكل عنف وعدوانية بالإضافة إلى ما يطالها من الشتم، رغم بكائها المسموع من بعيد.

فنحن رغم أننا من خلال رواية " ثللي" نتناول قضية من قضايا العنف والتشظي اللذين تعيشهما المرأة في المجتمع الجزائري المسلم، إلا أننا نعلم أن العنف ضد المرأة يتناقض وتعاليمنا الإسلامية التي نص عليها الدين الإسلامي الحنيف في النص القرآني وهذا ما نجده في قوله تعالى: " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"[2]. إضافة إلى هذا قوله تعالى: " هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرّت به فلما أثقلت دعوا الله ربّهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين"[3].

في الآيتين الكريمتين دليل على أنّ الله سبحانه وتعالى قد خلق آدم وخلق زوجته حواء من ضلعه أي أن الله قد خلق الإنسان وخلق زوجه من نفسه للدلالة على روح الاتحاد ما بين

[1] المصدر نفسه، ص 35.

[2] سورة الروم، الآية: 21.

[3] سورة الأعراف، الآية: 189.

الزوجين وأنهما واحد، أو كل واحد لا ينفصلان، وأن كلاّ منهما يسكن للآخر بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى السكن النفسي والروحي والجسدي والمادي.

ولقد تحوّل العنف في هذه الرواية إلى كابوس خيم على الروائية وعلى وجودها فشل حركتها وجعلها تعيش في دوامة الكآبة والقهر لا تجد سبيلا لمداواة جرحها النفسي، ذلك أنّ عنف الزوج يعد من أبرز مظاهر وأشكال العنف والقهر الذي يمكن للمرأة أن تتعرض له، حيث نجد الساردة تعاني القسوة والضعف والشقاء، فغدت متعلقة بهموم نفسية واجتماعية يتحكم في مصيرها الرجل، حيث تقول الساردة في أحد المقاطع السردية:

" كلمة أب بالنسبة لي مكونة من:

ألف: أمواج من الحزن جعلتني أصارع رغما عني.

باء: بحر من الدموع التي أذرفتها منذ الطفولة لحد الآن.

شعور موجع يا أبي أنني أحثت عنك عن عطفك ولا أجده وأنت أمامي"[1].

هذا المقطع السردي يعكس الوضع المزري والحالة النفسية للذات الأنثوية الساردة وما يقع عليها من اللاتوازن والاضطراب نتيجة لما يحيط بها مآس وهموم، فكل شيء من حولها يجلب لها الحزن والكآبة، فيبرز بذلك تشظى الذات الأنثوية جراء التهميش والسلب الذي تواجهه من قبل الآخر الرجل/ الآخر الأب، وبذلك تعيش الذات /الأنا الأنثوية في اغتراب وتشظ وسط تلك الممارسات التي تمارس عليها والتي تساهم في ترسيخ الذهنية الأبوية أو البطريقية الأبوية التي تسيطر على الوعي الأنثوي الذي جعل من الذات الأنثوية تتقبل فكرة الدونية وتستسلم لها.

فمن خلال المقاطع السردية في الرواية نستشف حالة الإقصاء التي تلحق المرأة داخل ذلك الفضاء الذكوري المغلق الذي يسيطر عليه القهر الطبقي والذي لا يعترف بأدنى حقوق المرأة ويبرز ذلك في ثنائية الهامش/ الأنثى والمركز/ الذكر؛ حيث نجد أن المرأة تحرم من

[1] سومية بن سعدي، رواية ثللي، ص 35.

التواجد في الأماكن العامة، وأن المرأة الشريفة لها خياران لا ثالث لهما، ألا وهما إمّا التواجد في منزل والدها، أو التواجد رفقة زوجها في الخارج، وإن تجاوزت هذين الخيار ينظر إليها المجتمع نظرة سيئة ولا أخلاقية هذا ما نجده في قول الساردة: " كان يكره أبي حينما يراني أمشط شعري أو أستحم، فكان يُسمعني كلامه القاسي الذي مازلت أتذكره لحد الآن: كأنها تتزين لرجل ...تفو عليك إن أنت امرأة. ودائما يحمّل أمي المسؤولية كأنني خرجت فعلا من الطريق وأنا وقتها لو خرجت من باب منزلنا سأضيع من شدة المكوث، فدائما كان يردد جملة واحدة أمقتها ستجلب العار، العار..."[1].

كما أننا نجد أن الأب في الرواية يقصي ابنته وزوجته من رأيهما في أي زوج يتقدم للزواج من ابنته، كما نجد أن قراره في تزويج ابنته واختيار عريس لها يكون مهمته دون أدنى اهتمام لرأي الأم أو البنت هذه الأخيرة التي هي المعنية بالأمر. كما أنه وحسب ما جاء في أحد مقاطع الرواية نجد أن الأب يلقي بابنته عند زوجها دون دراسة جوانب حياتها الخفية معه، كما أن الأوصاف التي يريد وجودها في الزوج المستقبلي لابنته هي الناحية المادية فقط لا غير، وأن يكون مستقبلها مضمونا من الناحية المادية التي تكون في الكثير من الأحيان سببا في فشل الزواج، وهو ما حدث مع الساردة حيث تقول: " تقدم إليك رجل من كبار العائلات في القرية يملكون بيتا هنا وفي العاصمة ستعيش في المدينة"[2].

حيث عملت الساردة في هذا المقطع السردي على كشف جملة من المرجعيات الثقافية التي وصلت إليها العائلة الجزائرية، حتى تأصّلت فيها، والتي أدت بدورها إلى المقالات الذكورية الجائرة في حق الأنثى، فتلغي وجودها وتغيب حضورها وكينونتها وذاتها، باتخاذ قرارات مصيرية كانت هي الأولى باتخاذها، فيكون بذلك "الأب" هو الذي يمثل السلطة في ذلك البيت وتكون له مشروعية التدخل باعتباره الطرف الفاعل في هذه العلاقات ؛حيث يتصرف من موقع ما يعطي لنفسه من حق للتدخل وتقرير مصير الفرد أو الأفراد الذين تطالهم سلطته ، وبحكم أن قراراته تكون سارية المفعول على كل من هم تحت سلطته نجد أن الذات الأنثوية ترى في القبول بالرضوخ إلى سلطته وقراراته الحل الأنسب لأنها لم تستطع مواجهة تلك الأعراف

[1] المصدر نفسه، ص 61.

[2] سومية بن سعدي، رواية ثللي ، ص 65.

البالية وتجهر بالرفض بسبب نظرة الآخر/ الرجل الآخر/ الذكر الذي ظل متمسكا بأن يسلب الأنثى/ المرأة كل حقوقها كما عمل على تهميشها.

فمن خلال الرواية نجد أنّ الساردة " سومية بن سعدي" قد أماطت اللثام عن مسألة الزواج القهري للمرأة في المجتمع الجزائري البطريقي؛ الذي كان من ركائز قيام الأسرة الجزائرية، حيث نجد أن الأنثى مجبرة على الزواج دون الأخذ برأيها، كما أبرزت الروائية آلية التفكير الأبوي، التي تلغي الذات الأنثوية، حيث يحتكر الآخر الأب الحرية لنفسه، فغدت الأنثى مجبرة على الانصياع وبذلك تبقى النظرة الدونية والسلبية للمرأة سيدة الموقف، ويبقى الأب في حالة خوف دائم، ويعمل على تزويجها في أسرع وقت ممكن، فأمر تزويجها يعدّ الهاجس الدائم الذي يعانيه الأب في المجتمع الجزائري، تقول الساردة في أحد المقاطع السردية: " الأم والأب يحرصون على تزويج بناتهم، فالأم حينما ترى بناتها كبرت ولو بقليل... ينتابها الخوف أن تبقى عانسا"[1]. فالأم دائمة الحرص على تزويج ابنتها خاصة عندما ترى ابنتها تكبر ولو بقليل، كما أن الأب لا يجد رفض الأم إلا أن يستخدم سلطته كرب أسرة، فيكون بذلك الآمر الناهي أمام أمر زواج ابنته وكما يريد هو.

إضافة إلى كل ما سبق نجد أنّ العامل الجغرافي؛ أي المكان قد أسهم مساهمة فعالة في سير أحداث الرواية، حيث نجد أنّ البطلة عاشت في منطقة القبائل في تكريس الذهنية البطريقية المنغلقة والمنطوية- والتي تلغي المرأة وتلغي وجودها إلا من باب التبعية للآخر الذكر؛ حيث لا يمكن أن تتساوى مع الآخر الذكر بأي شكل من الأشكال، تقول الساردة في أحد المقاطع السردية: " الزواج في منطقتي بأعم في مجتمعنا العميق صار القضية الأولى، وتتمحور في كل عائلة فهو الموضوع الرئيسي ويؤخذ بعين الاعتبار كثيراً"[2].

تبقى سلطة الأب هي المركز والقوة العظمى في المجتمع البطريقي الجزائري الذي ينبني على البطريقية الأبوية/ الذكورية؛ لتصل إلى حد رضوخ البنت وانصياعها، حيث عبرت الساردة

[1] سومية بن سعدي، رواية ثللي ، ص 63.

[2] المصدر نفسه ، ص 63.

من خلال الرواية عن تشاجر أمها مع والدها في مرات كثيرة ، لكنه رغم ذلك يصر على العودة بقلب قاس ودون أي ضمير وبكل وحشية مع إصراره على عدم الطلاق.

فمن خلال الرواية نستشف الهيمنة الذكورية أو البطريقية الأبوية المتمثلة في سلطة الأب التي تبقى حاجزاً أمام طلاق البنت، ليبرز وبشكل جلي ذلك النسق الفحولي الذي يقوم على وأد الأنثى نفسيا وطمس حريتها وبذلك انغلاقها على ذاتها كل ذلك احتراماً لتقاليد المجتمع الذكوري.

كما تناولت الساردة قضية المرأة المطلقة في المجتمع الجزائري؛ حيث تصبح المرأة المطلقة منبوذة من طرف المجتمع، كما ينظر لها الجميع على أنها امرأة فاشلة وفشلها له نتائج وخيمة وخطيرة على الجميع، وهذا ما عملت الساردة على عرضه في روايتها " ثللي"؛ حيث نجد تلك النظرة المريبة والمخيفة المليئة بالاحتقار والشك اتجاه المرأة المطلقة، لأنها مطلقة وبلا رجل وساقطة، كما أن المجتمع ينظر لها تلك النظرة الدونية التي تجعل منها قنبلة قابلة للانفجار وأنها سوف تلطخ شرف العائلة، وفي هذا تقول الساردة: " عدت إلى البيت ولكن بلقب جديد هذه المرة أنا المطلقة، التي يذكرها أبوها بأنّها مطلقة وعبء عليه أينما يجدها... الآن أنت قنبلة ستنفجرين وتلطخين شرفي"[1].

من خلال ما تناولته الساردة في رواية " ثللي" نجد أنّ الطلاق يعد هاجسا من الهواجس الصعبة التي تواجهها المرأة وعلى اختلاف مستوياتها الثقافية والاجتماعية والذي من أسبابه التسلط والعنف الذكوري اتجاه المرأة والأنثى، وكذا التمسك بالفحولة الذكورية، ومن خلال الرواية التي نحن بصدد دراستها وولوج عوالمها نجد أنه يمثل هذه الفئة المنكسرة في المجتمع المرأة " ثللي" المطلقة؛ التي عاشت تجربة فاشلة مع رجل مجنون، مما سبب لها أزمة نفسية جعلت منها رافضة للزواج مجدداً، بعد ذلك الزواج الفاشل حيث تقول الساردة: " صرت أخاف فكرة الزواج وأهرب منها، مسكينة أمي كانت تقول لي عندما أرفض أي واحد يتقدم لن ينفعك أخوك وزوجته، اقبلي فالحياة قصيرة، والوقت يمر، كانت ترغب بشدة أن تراني عروسة ليس لترتاح مني وإنّما من أجل أن أرتاح أنا، لكن وقتها لم أقبل هذه الفكرة أبداً لأنّ

[1] سومية بن سعدي: رواية ثللي ، ص 93.

الزواج بالنسبة لي شراء وبيع، مثلما باعني أبي وشراء مثلما اشترتني حماتي خادمة لزوجها المريض المسكين...بعد الزواج الفاشل الذي عشته المرّة الأولى، لم أعد أطيق الزواج فأرفض الفكرة"[1].

أما في هذا المقطع السردي نجد أنّ تجربة الزواج الفاشلة التي عاشتها بطلة الرواية " ثللي" والتي مرّت بها جعلتها ترى أنّ كل الرجال سواسية ومتشابهون جميعهم، لهم هدف واحد وهو إذلال المرأة وتعنيفها والتسلط عليها وإبقاؤها داخل سجن الرجل وتسلطه وجبروته، وبذلك فإن بطلة الرواية " ثللي" تبقى نموذجا للمرأة المنكسرة بعد تجربة الطلاق القاسية، كما أنها تمثل الضحية التي تجرعت كل أنواع المرارة وعاشت كل أنواع الذل والمعاناة، وتبقى المرأة المطلقة في المجتمع الجزائري البطريقي تعاني سوء المعاملة في مجتمع تقليدي لا يرحم يظل يوجه لها نظرة الاحتقار والدونية وأنها تحمل العار، تقول الساردة: " صرت مسكينة لأنني مطلقة هكذا كلّهن يقلن نساء حارتي عنّي صرت حديث كل شخص وموضوع كل منزل كل يوم حكاية جديدة، ثللي بنت محند تطلقت...تطلقت لأنها أساءت معاملة أهل زوجها"[2].

فحينما نلج العوالم الروائية في رواية " ثللي" نجد أنّ الشخصية البطلة الموسومة " ثللي" تعاني الطمس والسلب الأنثوي والتهميش من طرف الآخر المجتمع كذلك، ونجد أنّ الأنثى تعيش تحت تسلط السلطة الأبوية منذ لحظتها الأولى ومنذ ميلادها الأول، وذلك باعتبارها كائنا ضعيفا مسلوب الإرادة يحتاج إلى التوجيه والإرشاد، ويعاني التتبع أينما توجّه.

4.الآخر/الأخ والنظام البطريقي:

تعمل السلطة الذكورية على تفعيل النظام البطريقي وتعمل على مركزية الرجل داخل الأسرة، وذلك من أجل السيطرة على المرأة ومحاصرتها، وإبقائها داخل قوقعة هذا النسق، وذلك بتعدد مراكز السلطة، فيأتي مركز الأخ في السلطة الذكورية مباشرة بعد مركز الأب الذي يورثه السلطة ويترك له زمام الأمور وحق التصرف فيكون بذلك الأخ هو الوجه المصغر عن والده داخل العائلة؛ فنجد أنه يمارس هو الآخر سلطته وسيطرته وهيمنته على المرأة

[1] المصدر نفسه ، ص 94.

[2] سومية بن سعدي، رواية ثللي ، ص 78-79.

والأنثى (الأم/ الأخت) في حالة غياب السلطة المركزية الذكورية (الأب)، وعلى هذا يكون التأسيس لعلاقة الأخ بالأخت " تقريبا نفس علاقة الأب مع البنت، خاصة مع كبر السن حيث تتميز بخوف وحشمة الأخت اتجاه الأخ وتستمر هذه الصفة حتى بعد زواجها"[1]. فلا يمكن للمرأة التحرر من هذه الدوامة والسيطرة الذكورية التي يحيط بها السياج يكبل أنفاسها ويشل حركتها ويبقيها داخل قوقعته.

وهذا ما تطلعنا عليه الساردة " سومية بن سعدي" في رواية " ثللي "؛ إذ تطرح قضية المرأة وواقعها في خضم سير العلاقات الأسرية في المجتمع الجزائري البطريقي، فتكشف بذلك عن النسق البطريقي الذي ينصب في سيطرة الذكر المطلقة على الأنثى، وكذا تسلط الآخر الذكر على الذات الأنثوية، إضافة إلى أنه صادر حقها في تحديد مصيرها دون أن يأبه أو يهتم إلى الوضع والحالة التي آلت إليها الذات الأنثوية، فقد جاء على لسان الساردة سومية بن سعدي": " أخي السعدي كأنه نسخة مصغرة عنك، دكتاتوري ونفس قسوتك...فهو أكمل ما تركت"[2].

حيث تصف أخاها السعدي بأنه نسخة مصغرة عن والدها يتعامل بكل دكتاتورية ذكورية وينفس قسوة والدها. حيث إنه هو الآخر تجاوز الحدود ووضعها في قبر وأكمل ما سبق إليه أبوها ، بالفعل هو ابن أبيه لأنه الشبل ابن الأسد لا يملك لا رحمة ولا شفقة .

على مدار الرواية نستشف ذلك التجبر والبطش الذي يفرضه الأخ على أخته، وكيف يتم استضعاف الأنثى/ الأخت، التي يبدو جليا بأنها ذات أنثوية تعاني الاستلاب والقمع لا لشيء إلا لأنها أنثى، دائما توجه لها النظرة الدونية، وأنها أنثى عاجزة حتى في إدراك أناها، وأن الأخ في هذه النظرة لا رحمة فيه ولا شفقة مع الذات الأنثوية/ الأخت.

الخاتمة:

من خلال ولوج العوالم الروائية لرواية " ثللي" نستطيع القول بأن بطريقية المجتمع الجزائري أدّت إلى هيمنة الجنس الذكوري في كل المجالات وعلى شروط الوعي كافة، كمثال

[1] بلقاسم الحاج، (2008)، النظام الأبوي ومظاهر تغير المكانة الاجتماعية للمرأة، دراسة ميدانية وصفية لأهم مظاهر التغير الاجتماعي في الوسط الحضري، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2008/ 2009، ص 123.

[2] سومية بن سعدي، رواية ثللي، ص 86.

على ذلك الهيمنة الذكورية على الكتابة العربية بعامة والجزائرية بخاصة فجاءت الكتابة ذات إيقاع ذكوري مليئ بالصفات الذكورية؛ مما أدى إلى تهميش المرأة وإبعادها عن العديد من المجالات والميادين خاصة مجال الكتابة؛ ذلك كونها ومنذ القديم مملكة ذكورية لا يحق دخوله،ا ورفض المرأة لهذا الوضع المفروض عليها وسعيها لتحقيق ذاتها وإحداث التغيير في ذاتها ،نجد أنها قد اقتحمت عالم الكتابة فكان خطابها السردي الأنثوي يهدف إلى إثبات وجودها واستيعاب قضايا المرأة واختزال تجاربها، فنجد أن قضايا وأسئلة المتن السردي في الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة قد تعددت فجاءت المدونة الروائية النسوية الجزائرية المعاصرة، رواية" ثللي" فسيفساء تقدم كل قطعة منها قضية من قضايا ذواتهن الأنثوية ومجتمعاتهن لتشكل لوحة المجتمع الجزائري بكل خصوصياته.

قائمة المراجع

1. سومية بن سعدي، (2019)، رواية ثللي، دار المثقف، ط1.
2. مليكة الحاج يوسف، (2013)، ملامح العنف ضد المرأة في المجتمع الجزائري التقليدي، مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، ع8.
3. حسين مناصرة، (2008)، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب، إربد، الأردن.
4. بلقاسم الحاج، (2008)، النظام الأبوي ومظاهر تغير المكانة الاجتماعية للمرأة، دراسة ميدانية وصفية لأهم مظاهر التغير الاجتماعي في الوسط الحضري، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2008/ 2009

5. Pierre Bourdieu ,،(1974) , Dociologie de /'Algérien, Collque Sais 15 je, Paris P.U.E